الأهرام

المصدر : الوسط
التاريخ : ١٧ ابريل ٢٠٠٠

كيف تقرأ دمشق وبيروت مرحلة ما بعد جنيف؟

بشار الأسد لـ«الوسط»:

كلينتون جدّي ويتفهم تمسكنا بكامل أراضينا

• الباب مفتوح واسرائيل تتحمل مسؤولية التأخير

الوسط

بعد ساعات من اختتام القمة الأميركية – السورية في جنيف كان التعب واضحاً على وجوه الصحافيين واقترن بقدر من الخيبة بعدما تبين أن الرئيس بيل كلينتون لم يستطع الحصول من إيهود باراك على ما يكفي لإقناع الرئيس حافظ الأسد بأن مسلتزمات إعادة إطلاق مفاوضات السلام باتت متوافرة. وعلى عادتهم في مثل هذه الأحوال أطلق الصحافيون العنان للتكهنات والسيناريوهات وبالغ في التشاؤم من كان أسرف أصلاً في التوقعات والتفاؤل. قال بعضهم أن «الفرصة الأخيرة» قد ضاعت. وأنه لم يبق للرئيس الأميركي من الوقت ما يكفي لتغيير مجرى الأحداث. ونعى آخرون عملية السلام برمتها واعتبروا أن الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان في تموز (يوليو) المقبل سيفتح الباب لمواجهات اسرائيلية – سورية على الأراضي اللبنانية. ورأى آخرون أن المسار السوري – الإسرائيلي دفع الى الثلاجة وإن إسرائيل ستصب جهودها على إنجاح المفاوضات مع الفلسطينيين. ووسط قراءات مختلفة وسيناريوهات، يغلب على معظمها التشاؤم غادرنا جنيف صبيحة اليوم التالي.

لم يتوقف سيل التحليلات والتكهنات. وعندما تحدث الرئيس الأميركي عن «أن الكرة في ملعب دمشق» وأنه ينتظر إجابات سورية على ما طرحه كان هناك من التقط هذه التصريحات وتجاهل إشارات أخرى أطلقها كلينتون ليستنتج أن قمة جنيف لم تسفر فقط عن انتكاسة لجهود السلام بل أيضاً عن عطب في العلاقات الأميركية – السورية. وغاب عن ذهن هؤلاء أن للرئيس الأميركي حساباته وأنه أطلق هذه الرسائل وعينه على المعركة التي يخوضها آل غور لخلافته والحملة التي تنظمها زوجته في نيويورك وعلى اللوبي اليهودي المؤثر في الحالتين. ولاستجلاء مناخات ما بعد جنيف قررت التوجه الى دمشق

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وبيروت.

في دمشق لا يلمس الزائر أي ارتباك في مواجهة المرحلة الممتدة من قمة جنيف الى الموعد المحدد لانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان. هذا لا يعني ان الشهور القليلة المقبلة ليست دقيقة أو صعبة. فالاستحقاقات مهمة وبعض المناورات الإسرائيلية خطير وعامل الوقت حاضر وإن لم يتسم بعد بطابع الساعات الأخيرة. وعلى رغم ذلك تبدو دمشق هادئة وواثقة في تعاطيها مع الملفات الشائكة والإتصالات المهمة والطروحات الدقيقة. وهناك من يرى ان هدوء دمشق يرجع الى عوامل عدة أولها تسليم كل الأطراف الإقليمية والدولية باستحالة تجاهل سورية في أي سلام يطمح الى اتخاذ صفة السلام العادل والمستقر. فطريق السلام الشامل لا بد وأن تمر بمعبر إلزامي هو سورية التي لا يمكن إعلان انتهاء النزاع العربي – الإسرائيلي من دون مشاركتها. فالسلام بلا سورية يبقى ناقصاً ومهدداً. يضاف الى ذلك أن دمشق وفي ضوء التجارب الطويلة في العقدين الماضيين باتت صاحبة خبرة في مقاومة الضغوط من جهة والإغراءات من جهة أخرى.

يبتسم المسؤولون السوريون أمام السيناريوهات التي تتحدث عن استعجال سوري لإنجاز السلام استناداً الى ما يشاع عن صحة الرئيس حافظ الأسد وعن حاجة سورية الى تغيير، خصوصاً اقتصادي، يستلزم انهاء النزاع مع اسرائيل. يعترضون على عبارة «ملف الخلافة» لافتين الى طبيعة النظام ودور المؤسسات ومشددين على ان ملف التغيير والتطوير وتولي أجيال جديدة بذهنية جديدة مواقع بارزة أو قيادية وفتح قبل الجولة الأخيرة من مفاوضات السلام وليس مرهوناً بمجرياتها وهو مستمر بغض النظر عن هذه المجريات. تتصرف دمشق بعيداً عن ضغط الأسابيع الأخيرة. لا تقلل من أهمية ما يجري لكنها ترى أن سيناريوهات التشاؤم التي انطلقت بعد جنيف لا تتسم بالواقعية. الباب لا يزال مفتوحاً. يقول المسؤولون السوريون وينفون أي انتكاسة في العلاقات مع واشنطن مذكرين بأن جو المحادثات بين الرئيسين كلينتون والأسد كان ودياً وصريحاً وان الرئيس الأميركي حاول خلال القمة أن يحصل من باراك على ما يدفع عملية السلام الى الأمام لكنه لم يوفق.

يتطابق موقف دمشق من الإنسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان مع موقف بيروت منه وهي تبدو واثقة من صلابة موقف الرئيس إميل لحود وحكومة الدكتور سليم الحص في مقاومة الضغوطات والإغراءات معاً. لا تخفي دمشق ارتياحها الى الدعم العربي الواسع لمواقفها المتمسكة بأسس السلام العادل والشامل وتعبر عن ارتياحها للدور السعودي وهو دور «فاعل جداً». وفي الوقت نفسه يلمس الزائر متابعة دقيقة لمجريات التجاذبات السياسية في إسرائيل ومحاولات لقراءة مواقف باراك في ضوء عوامل قوته وضعفه من جهة ورغبته في المناورة وخفض الأثمان من جهة أخرى. يشدد المسؤولون السوريون على السلام لكنهم يتحدثون عنه في إطار الثوابت ويشيرون الى أن المواطن السوري العادي يدعم قرار القيادة في المشاركة في جهود السلام لأنه يثق بأنها لا تفرط بشبر واحد ولا تقبل أي صياغات أو اجتهادات على حساب عودة الأرض كاملة وهذا معنى التمسك بخط ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

في مكتب الدكتور بشار الأسد يطول الحديث حتى ولو لم يكن الغرض اجراء مقابلة صحافية شاملة على غرار ما أجرته «الوسط» معه قبل تسعة شهور. فالرجل الذي تحول رمزاً لرغبة سورية في العصرنة والتطوير وامتلاك عناصر القوة في العالم الجديد لا يقطع الطريق على أي سؤال ولا يلزم الزائر بمناطق محظورة.

يرى الدكتور بشار «أن التشاؤم الذي أعقب قمة جنيف كان أكبر من الواقع بكثير، ربما لأن بعضهم اعتقد بأن هذه القمة ستنجز عملية السلام بكاملها وهناك من وصفها بقمة الفرصة الأخيرة وهذا غير دقيق فالفرصة الأخيرة هي تلك التي يتحقق فيها السلام بشكله النهائي. نحن ننظر الى هذه القمة على أنها إحدى المحطات المهمة في عملية السلام المستمرة. وخيار السلام لدينا ليس جديداً. فمنذ ما بعد ١٩٧٣ أكد الرئيس الأسد التزام سورية السلام العادل والشامل الذي يعيد الأرض والحقوق واعتبر السلام خياراً استراتيجياً. قمة جنيف الأخيرة سبقتها قمتان بين الرئيسين كلينتون والأسد. من هنا يمكن النظر اليها كواحدة من تلك المحطات. سورية لا توفر جهداً من أجل إحلال السلام الحقيقي وتذهب الى هذه المحطة أو تلك انطلاقاً من ثوابتها وتمسكها بقرارات الشرعية الدولية. أعتقد بأن قمة جنيف أعادت توضيح ما هو واضح أصلاً وهو رفض سورية التفريط بشبر من أرضها».

وعن ما يسمى عقدة مئات الأمتار قرب طبريا، قال: «موضوع الأرض هو موضوع سيادة وكرامة. أرض الوطن لا تقاس باعتبارات اقتصادية أو عقارية. موضوع الأرض لا يقبل الاجتهادات والتأويل، وسورية ليست في وارد تقديم هدايا من هذا النوع. هذا موقف القيادة وموقف كل مواطن سوري. الرئيس كلينتون نفسه يتفهم أهمية هذا العامل عندنا».

وعما يقال عن ضغط المواعيد وإن الوقت ينفد، قال: «لم يتأخر الوقت ولم ينفد. لسنا في بداية مفاوضات. المواقف واضحة والمواقف المطلوب انجازها معروفة ومفصلة. هناك حاجة الى قرار وهناك من الوقت ما يكفي لاتخاذه إذا توافرت النية وقررت اسرائيل الإستجابة لمواصفات السلام العادل والشامل». وعن احتمال عودة المفاوضات وعلاقة الإنسحاب الكامل بالسلام

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

قمة جنيف محطة من المحطات والعلاقة مع واشنطن جيدة

الكامل، قال: «العودة الى مبدأ إعادة الأرض كاملة تعيد إطلاق المفاوضات. أما السلام فمن شروط استمراره ان يكون كاملاً. السلام الناقص ليس سلاماً».

وهل يعتبر أن الفرصة لا تزال قائمة، قال: «لم تتوقف عملية السلام والباب يبقى مفتوحاً طالما أن الجهود مستمرة».

وعن الآثار السلبية في حال إرجاء السلام على المسار الإسرائيلي – السوري، أجاب: «تأجيل السلام يرتب انعكاسات سلبية على دول المنطقة وعلى مصالح كثيرة خصوصاً الدول المعنية مباشرة بالنزاع. لكن هذا لا يعني أبداً القبول بسلام لا تتوافر فيه شروط السلام الحقيقي لأنه يعني ابقاء بذور النزاع وعدم الإستقرار قائمة».

وعن العلاقة بين واشنطن ودمشق، قال: «العلاقة جيدة مع الولايات المتحدة خصوصاً مع الرئيس كلينتون. وقد عززتها جديته في العمل من أجل السلام وتفهمه للحقوق السورية منذ تأكد من عدالتها. أجواء قمة جنيف بين الرئيسين كانت ودية وبناءة. وسمحت اللقاءات السابقة والإتصالات بقيام علاقة شخصية بينهما. المهم هو هل باتت اسرائيل مستعدة للسلام العادل والشامل؟».

لا يرى الدكتور بشار الأسد سبباً للحديث عن استعجال سوري في ملف عملية السلام من أجل إنجاز ملفات داخلية، ويقول: «ما العلاقة بين استعجال السلام وإسناد هذا الموقع الى هذا الشخص أو ذاك. السلام غير الكامل لا يخدم أي هدف أو أي شخص يأتي في المستقبل كائناً من كان».

ويشدد الدكتور بشار على أن التغيير في سورية قناعة ولدتها قراءة متأنية للأوضاع الإقتصادية وللتطورات التي يشهدها العالم، لافتاً الى أن التغيير لا يتم بقرار وإن العلاج على مراحل أفضل من العلاج بالصدمات، ومعتبراً أن الحاجة الى التغيير عامة وهي على الصعيد الإقتصادي قد تكون الأكثر إلحاحاً مشدداً على أهمية تحديث التشريعات وإصلاح الإدارة وتطوير التعليم والدخول بقوة في عالم المعلوماتية. وقال أنه متفائل بوضع الحكومة ولا ينظر إليها كأشخاص بل كفريق عمل «وهناك إمكانية كبيرة لتحقيق خطوات تعزز وضع سورية في كل المجالات».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وعن تقييمه لمسيرة العهد والحكومة في لبنان، قال: «لا نستطيع أن نقيّم العهد إلا من خلال مواقفه الوطنية والقومية وهي جيدة وواضحة. أما الشؤون الأخرى فهي من شأن اللبنانيين». وامتنع عن الخوض في الإنتخابات النيابية المقبلة في لبنان، مكتفياً بالإعراب عن أمل سورية في أن تسفر عن تعزيز الخط الوطني لا الطائفي وبما يخدم استقرار لبنان وازدهاره.

وقبل مغادرة دمشق تسمع ديبلوماسياً يقول أن المفاوضات الأساسية لا تشق طريقها الى النتائج إلا في اطار الحديث عن الإستحقاقات وإن الأسابيع المقبلة ستكون «بالغة الأهمية» مشيراً الى أن الإتصالات مع دمشق لم تتوقف.

في بيروت أسئلة كثيرة وشكوك كثيرة. أسئلة حول جدية باراك في السير قدماً نحو السلام العادل والشامل الذي انطلقت عملية مدريد على أساسه وأسئلة حول استعداد حكومة باراك لدفع الثمن الذي لا بد منه لقيام سلام يحظى بقبول أفرقاء النزاع ويفتح صفحة جديدة في حياة المنطقة. تسمع في بيروت من يتساءل: هل التصريحات الإسرائيلية المختلفة وليدة توزيع مدروس للأدوار أم أن استحقاقات السلام تربك إسرائيل فعلاً؟ وهل صارت عملية السلام أسيرة اللعبة السياسية الداخلية؟ وهل الهم الأول لباراك المحافظة على تماسك الإئتلاف الحكومي ومنع المستوطنين والمعارضة اليمينية من اجتذاب الرأي العام الإسرائيلي؟ كما تسمع في بيروت سؤالاً يتكرر: هل صحيح أن باراك يضعف يوماً بعد يوم وأنه لن يستطيع اتخاذ ما أسماه «قرارات مؤلمة»، إذا تأخر موعد اتخاذ هذه القرارات شهوراً أخرى وقد بدأت بعض مظاهر هذا الضعف تطفو على السطح؟ وما هو المطلوب من العرب في هذه الحالة، وهل يتعين عليهم ان يدفعوا من حقوقهم ثمن التجاذبات الداخلية في اسرائيل؟ وتلتقي من يسأل أيضاً هل يخشى باراك قرار الإنسحاب من الجولان الى درجة تفضيل إرجاء مثل هذا القرار وإلى متى؟ وإذا كان مضطراً لاتخاذه هل يفضل أن يعطيه لرئيس أميركي يستعد لجمع أوراقه ومغادرة المكتب البيضاوي بعد شهور؟ أم يفضل انتظار وصول الإدارة الأميركية الجديدة لإبرام صفقة واسعة معها؟ وماذا عن الرئيس كلينتون نفسه؟ لقد بدا الرئيس الأميركي في السنوات الماضية ملتزماً تماماً عملية البحث عن السلام في الشرق الأوسط. وثمة من يعتقد بأن كلينتون الذي شهد الإقتصاد الأميركي في عهده ازدهاراً غير مسبوق يتطلع اليوم الى احتلال موقعه في التاريخ كصانع سلام وإن الشرق الأوسط هو فرصته الكبرى لتحقيق طموح من هذا النوع.

تقلب بيروت الأسئلة وتنظر الى الساعة. فقرار حكومة باراك سحب قواتها من لبنان في تموز (يوليو) المقبل وضع جهود السلام أمام استحقاق جديد وشائك.

في الأسابيع الماضية خيّمت على ردود فعل لبنان الرسمي حالة من الإرتباك خصوصاً بعدما أطلقت إسرائيل حملة ديبلوماسية واسعة للإيحاء أن انسحابها من جنوب لبنان يأتي انصياعاً لإرادة الشرعية الدولية. والواقع هو أن إسرائيل تجاهلت القرار ٤٢٥ على مدى ٢٢ عاماً، والصحوة المفاجئة لتطبيقه اليوم تندرج في إطار تفادي الخسائر البشرية والرغبة في «حرمان سورية من ورقة الضغط الأساسية التي تستخدمها لإرغام إسرائيل على الإنسحاب من الجولان».

ويرى مسؤول لبناني أن إسرائيل واجهت في لبنان هزيمة مطلقة لم تواجه مثلها في تاريخ النزاع العربي – الإسرائيلي وإن انسحابها لن يعفيها من الآثار البعيدة المدى، داخل الجيش والمجتمع، لهذه الهزيمة. ويضيف: إنها المرة الأولى التي ستنسحب فيها إسرائيل من أرض عربية من دون أن تتمكن من تقاضي ثمن الإنسحاب. فالجيش اللبناني ليس في وارد التحول الى حرس حدود لإسرائيل ومستوطناتها في الشمال. والسلطة اللبنانية متمسكة أكثر من أي وقت مضى بتلازم المسارين اللبناني والسوري وهي لا تعتبر الإنسحاب مبادرة إسرائيلية بل خطوة أملتها ضربات المقاومة التي نجحت في تحقيق أهدافها بفضل تضحياتها والتفاف اللبنانيين حولها والدعم السوري لها.

ولاحظ أن لبنان الذي يبتهج بنجاحه في إرغام إسرائيل على الإنسحاب من أراضيه كان واضحاً في إبلاغ العالم أن الإنسحاب لن يحل المشكلة في غياب السلام العادل والشامل. فالفلسطينيون في مخيمات لبنان رأوا المقاومة اللبنانية تكافح وتنجح ومن يستطيع منعهم غداً من العودة الى العمل المسلح ما دام «السلام الحالي» يتناسى مأساتهم وحقوقهم. الفلسطينيون اليوم ليسوا فلسطينيي الأمس. الوعد السابق بالتحرير لم يتحقق والوعد بالسلام لم يعد لهم أرضهم ولهذا فقدوا الثقة بالوعدين وستكون تجربة المقاومة اللبنانية عندهم القدوة والمثال فهي التجربة الوحيدة التي أثبتت نجاحها على أرض الواقع. وفي هذا السياق جاءت المذكرة التي سلّمها الرئيس إميل لحود الى تيري لارسن موفد الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان والتي سأل فيها ما إذا كانت القوات الدولية في جنوب لبنان مستعدة لتجريد المخيمات الفلسطينية من السلاح وضمان عدم انتهاك اسرائيل مجدداً لأراضي لبنان وأجوائه ومياهه كما سأل عن الجهة التي سامحت اسرائيل عن التعويضات المستحقة للبنان نتيجة العدوان الإسرائيلي.

تخطت بيروت ارتباك الأسابيع الماضية وحددت موقفها، لكن ذلك لا يلغي القلق. فإذا تعذر على الإدارة الأميركية تبديل الموقف الإسرائيلي من «عقدة طبريا» واستمر المسار السوري – الإسرائيلي معطلاً وانسحبت إسرائيل طبقا للقرار ٤٢٥ فإن وضعاً جديداً سينشأ في جنوب لبنان. وضع مفتوح على احتمالات خطيرة، وثمة من يقول أن الجنوب قد يكون شرارة الإنزلاق الى مواجهات تضع المنطقة على شفير الحرب ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية